

آفة الحياة الروحانية

الإهمال وكيف نتغلب عليه؟

١. أتبذ الفضولية و«عمل ما يحلوك»

+ لكي نتجنب الوقوع في شر الإهمال الوبيل الذي يوقف تقدمك نحو الكمال و يسلمك إلى أيدي أعدائك ، عليك بأن تهرب من كل أنواع الفضول (كمحاولة معرفة ما هنا وما هناك والشرثرة الفارغة ، والحوم هنا وهناك) ، ومن أي تعلق بشيء أرضي ، ومن كل الأعمال التي لا قصد منها سوى إرضاء « المزاج » ، أي بلغة القديسين : « عمل ما يحلوي » الذي لا يتفق مطلقاً مع قصدك . بل عليك أن تغضب نفسك على أن تعمل باختيارك كل ما يرشدك إليه معلموك وآباؤك الروحيون .

٢. لا تتأخر في مباشرة العمل الواجب عليك :

لا تتأخر مطلقاً في مباشرة الأعمال الواجبة عليك ، لأن أول تأخير قصير يقود إلى تأخير ثان أطول ، والثاني إلى ثالث أطول أيضاً ، وهلم جرا ... إلى أن تبدأ العمل بعد فوات الأوان فلا تتممه في وقته المحدد أو تهمله بالكلية وقد أصبح تقيل العبء عليك جداً . وهكذا بشذوقك لذة البطالة تبندىء تستحسنها وتفضلها على العمل . و باشباعك هذه الرغبة نعتاد شيئاً فشيئاً على الكسل وعدم العمل ، فيتملك فيك هوى البطالة كدرجة تكف معها حتى عن رؤية بطلاتها وإجرامها .

حتى إذا مللت الكسل واشتقت مرة أخرى إلى القيام بعملك ، تعي بخجل كم كنت مهملأ ، وكم من الأعمال الضرورية أهملت من أجل لذة عمل « ما يحلوك » .

٣. « ملعون من يعمل عمل الرب باسترخاء » « ملكوت السموات يغضب » :

+ إسمع ما كتبت : « ملعون من يعمل عمل الرب باسترخاء » (إرميا ٤٨ : ١٠) ، فكيف تجلب لنفسك هذه النكبة بكسلك ، لأنك تهمل التفكير بقيمة وكرامة العمل المتوجب عليك ؟ لو داومت على التفكير في هذا الإنذار ، فسبحمك هذا على القيام بعمل الله في وقته و بتصميم يقضي كل ذكر الصعوبات المرافقة له والتي يوحىها إليك الكسل لكي يحولك عنه . + لا تنس أبداً أن رفع العقل مرة واحدة إلى الله ، وسجدة متواضعة واحدة أمام مجده وإكراماً له ، لأثمن بما لا يحد من كل كنوز العالم ، وبأن كل مرة نُقصي فيها الإهمال ، تضطر ذواتنا أن نقوم بالعمل الواجب علينا باجتهاد .

٤. قاوم الأفكار الداعية إلى الإهمال كما يلي :

+ إن جاءتك فكرة شريرة لتوقفك في الإهمال وأوحى إليك بأن اكتساب الفضيلة يتطلب عملاً طويلاً وشاقاً للغاية ، وبأن أعداءك الروحيين أقوياء ومتعددون بينما أنت ضعيف ووحيد ، وبأن عليك أن تفعل كثيراً وتنجز أعمالاً عظيمة حتى تبلغ إلى هدفك ، أقول إن أوحى لك فكرة الإهمال كل هذا لا

تصبح إليها، بل أنظر إلى المسألة هكذا :

+ قلّ لنفسك : بالطبع عليك أن تعمل ، ولكن ليس كثيراً ، عليك أن تخوض مشقات طفيفة ، ولكنها لن تدوم طويلاً ، ستصاف أعمداً ، ولكنهم واحد فقط ، ومع أنه عدو قوي جداً عليك وحده ، لكنك أقوى منه بما لا يُقاس ، لأنك تستطيع دائماً أن تتركز إلى معونة الله مقابل ثقتك الكبيرة فيه .
+ إن اتخذت هذا الموقف فإن الإهمال يبدأ بالانسحاب وتعمل محله فيك تدريجياً - بتأثير الأفكار والإحساسات الصالحة - غير ونشاط في كل شيء يمتلكان في النهاية على كل طاقات النفس والجسد .

٥ . الإهمال يبني الحياة الروحية :

+ إعلم أيضاً ، يا بُنيّ ، أن مرض الكسل والإهمال يُتلف تدريجياً بسمومه ليس فقط الجذور الأولى الصغيرة التي تُبني العادات الفاضلة ، بل أيضاً تلك الجذور العميقة التي تُؤلف أساس الحياة الصالحة بأسرها .

مثل الدودة التي تنخر جذور الشجرة تدريجياً ، هكذا الإهمال إذا استمر ، يلاشي قوام الحياة الروحية نفسها و يبنيها بطريقة غير محسوسة .

فمن خلاله يدبر الشيطان بسط شبكته ومدّ حباله التجارب لكل إنسان ، و يتولى بعناية خاصة ودهاء حسيث أولئك الحارّين في الحياة الروحية ، عالمياً بأن الرجل المهمل والكسلان إنما يدعن بسهولة للشهوات وللسقطات ، كما هو مكتوب « نفس الكسلان تشتهي ولا شيء لها » (أم ١٣ : ٤) .

٦ . إعطِ « الآن » لله :

+ إذن ، كن إلى الأبد محترساً ، صلّ وتمسك بكل شيء صالح كما ينبغي على الجندي الشجاع « ونفس المجتهدين تسمن » (أم ١٣ : ٤) .

+ لا تجلس مكتفٍ اليدين مرجحاً تفصيل حلة زفافك إل وقت الخروج لملاقاة العريس ، المسيح ربنا . بل تذكّر كل يوم بأن « الآن » في أيدينا ، وأما « غداً » فبيد الله ، وبأن ذلك الذي أعطاك هذا الصباح لم يتعهد بإعطائك هذا المساء .

+ ارفض الإصغاء إلى الشيطان وهو يوشوش لك قائلاً : إعطني « الآن » وخذ « غداً » لتعطيته الله . لا ، لا ! بل إقض كل ساعات حياتك بطريقة مرضية لله ؛ داوم على التفكير بأنك بعد الساعة الحالية لن تُعطي ساعة أخرى ، وبأنك ستؤدي حساباً دقيقاً عن كل دقيقة في هذه الساعة ، أذكر أن الوقت الذي لديك الآن لا تمن له ، فإذا أضعته باطلاً فستأتي الساعة التي تطلبه فيها ولن تجده .

+ إعتبره ضائعاً ذلك اليوم الذي ، بالرغم من قيامك فيه بكل عمل صالح ، لم تجاهد فيه للتغلب على ميولك وشهواتك الفاسدة .

+ ختتماً أكرر وصية الرسول « جاهد الجهاد الحسن » دائماً (١ تي ٦ : ١٢) . لأن ساعة واحدة من العمل النشط كثيراً ما أكسبت السماء ، وساعة واحدة من الإهمال أضاعتها ! ...